تفسير

سورة المرسلات[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ ذكر في هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن المراد (بالمرسلات) الرياح ، وهو قول مجاهد[٢] ، وقتادة[٣] ، (وابن مسعود[٤] ، وابن عباس[٥] في رواية العوفي)[٦] ، ويدل[٧] على صحة هذا

---

(١) هي سورة مكية ، حكاه ابن عطية ، وابن الجوزي عن جمهور المفسرين .
انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥١ .

(٢) تفسير الإمام مجاهد ٦٩١ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٢٩ ، والكشف والبيان : ج ١٣/ ٢٢/ ب ، معالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ بمعناه ، المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤٨٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٢ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٤٠ . وانظر : المراجع السابقة ، وعزا صاحب الدر قول قتادة إلى عبد بن حميد .

(٤) المراجع السابقة عدا تفسير عبدالرزاق . وانظر : بحر العلوم ٣/ ٤٣٤ ، وعزا تخريج قوله ـ أيضاً ـ صاحب الدر المنثور : إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٥) المراجع السابقة .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (ع) : يدل من غير واو .

القول : قوله : ﴿ يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ [الأعراف :٥٧] ، ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ ﴾ [الحجر :٢٢] فالله يرسلها ، وهي مرسلات .

القول الثاني : إن معنى «المرسلات» هاهنا الملائكة ، وهو قول مقاتل[١] ، (ومسروق[٢] ، وأبي صالح)[٣] عن أبي هريرة[٤] ، وابن عباس[٥] في رواية الكلبي .

القول الثالث : قال ابن عباس[٦] : (في رواية عطاء)[٧] : يريد الأنبياء .

وقوله : ﴿ عُرْفًا ﴾ ذكر فيه قولان :

أحدهما : متتابعة ، وهو قول من قال في «المرسلات» إنها الرياح[٨] .

قال الزَّجَّاج : أرسلت كعرف الفرس[٩] .

وقال الفرَّاء : تتابعت كعرف الفرس ، والعرب تقول : تركت الناس إلى فلان عرفاً واحداً ، إذا توجهوا إليه فأكثروا[١٠] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢٢٣/ أ ، بحر العلوم ٣/ ٤٣٤ ، والكشف والبيان ١٣/ ٢٢/ ب ، معالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٣ .

(٢) ورد قوله في جامع البيان ٢٩/ ٢٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٢ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨١ ، وعزا تخريجه لابن أبي حاتم . انظر : المستدرك ٢/ ٥١١ : كتاب التفسير : تفسير سورة المرسلات . وقال الحاكم : حديث صحيح من طريق أبي صالح ، ووافقه الذهبي .

(٥) الدر المنثور ٨/ ٣٨٢ ، وعزا تخريجه إلى ابن المنذر .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٣ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) وذهب إليه أيضاً بريدة . جامع البيان ٢٩/ ٢٢٩ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٥ بنصه .

(١٠) معاني القرآن ٣/ ٢٢١ بنصه .

والعرف على هذا اسم أقيم مقام الحال ؛ لأن المعنى : والرياح التي أرسلت[١] متتابعة .

ويجوز أن يكون بمعنى المصدر . وهـو قول المبرِّد ، قال : عرفاً[٢] اتباعاً[٣] . والمعنى فيهما واحد .

القول الثاني : و«العرف» أنه بمعنـى المعروف ، كقوله : ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[٤] [الأعراف :١٩٩] ، وقد مر ، وهو قول من قال في «المرسلات» إنها الملائكة .

قال مقاتل[٥] (والكلبي[٦])[٧] : أرسلوا بالمعروف[٨] من أمر الله ونهيه .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد[٩] الأنبياء أرسلوا بلا إله إلا الله[١٠] .

---

(١) بياض في (ع) .
(٢) في (أ) : عرفنا .
(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٤) في (أ) : بالمعروف .
(٥) تفسير مقاتل ٢٢٣/ أ .
(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٨) بياض في (ع) .
(٩) بياض في (ع) .
(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله . وقد ذكر قوله في سورة الأعراف آية ١٩٩ كما مر .

٢. قوله تعالى : ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ قال المفسرون[(١)] : يعني الرياح الشديدة الهبوب . وقال مسروق : يعني الملائكة[(٢)] .

قال أبو إسحاق : من قال الملائكة ، فالمعنى أنها تعصف بروح الكافر[(٣)] .

يقال : عصف بالشيء إذا أباده وأهلكه ، ومنه قول الأعشى :

تُعْصِف بالدَّارِعِ[(٤)] والحاسِرِ[(٥)(٦)]

٣. قوله (تعالى)[(٧)] : ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ استئناف قسم آخر ، لذلك كانت (بالواو) ، وقد ذكرنا هذا في أول سورة ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافات :١] .

---

(١) قال بذلك : علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، ومجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة .
انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٣٠ ، والكشف والبيان ج ١٣/ ٢٢/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ . وحكاه ابن الجوزي عن المفسرين في زاد المسير ٨/ ١٥٤ ، وبيَّن القرطبي في أنه لا اختلاف في أنها الرياح الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ ، كما عزاه الخازن إلى المفسرين في لباب التأويل ٤/ ٣٤٤ .
انظر : الدر المنثور ٨/ ٣٨١ ، ٣٨٢ وعزا تخريجه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، والبيهقي في الشعب . وانظر : المستدرك : أخرجه عن علي ٢/ ٥١١ كتاب التفسير : تفسير سورة المرسلات ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) الدر المنثور ٨/ ٣٨٢ وعزا تخريجه إلى ابن جرير ، ولم أجده عنده .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٥ بنحوه .

(٤) في (أ) : الدارع .

(٥) صدر البيت :

يَجْمَعُ خَضْراءَ لها سَوْرَةٌ

وقد ورد البيت في ديوانه ٩٦ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل .
والمراد بخضراء كتيبة سوداء لما عليها من الحديد . ديوانه ٩٦ في الحاشية .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (عصف) ٢/ ٤٢ .

(٧) ساقط من (ع) .
ومما جاء في تفسيرها : وذكر أهل المعاني في القَسَم وجهين :
أحدهما : أن القسم بالله ـ عز وجل ـ على تقدير ورب الصافات ، كقوله : ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ ، ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾ ، ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ ، إلا أنه حذف لما في العلم من أن التعظيم بالقسم بالله .
والثاني : أن هذا على ظاهر ما أقسم به ؛ لأنه ينبئ عن تعظيمه بما فيه من العبرة الدالة على ربه .

ومعنى الناشرات : الرياح التي تأتي بالمطر . وهو قول الحسن[١] ، وابن مسعود[٢] ، (ومجاهد)[٣][٤] ، وقتادة[٥] .

يدل على هذا قوله : ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف :٥٧] . يعني أنها تنشر السحاب نشراً ، وهو ضد الطي .

وقال مقاتل : يعني الملائكة ينشرون كتب بني آدم ، وصحائف أعمالهم[٦] ، (وهو قول مسروق[٧] ، وعطاء ، عن ابن عباس[٨])[٩] .

وقال أبو صالح : يعني المطر[١٠] .

---

(١) الكشف والبيان ١٣/ ٢٣/ أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ .

(٢) جامع البيان ٢٩/ ٢٣١ ، والنكت والعيون ٦/ ١٧٦ بنحوه ، وزاد المسير ٨/ ١٥٤ . وعزاه ابن الجوزي إلى جمهور المفسرين ، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ ، والدر المنثور ٨/ ١٣٨ .

(٣) تفسير الإمام مجاهد ٦٩١ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٢ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٤٠ .

(٦) بمعناه في تفسير مقاتل ٢٢٣/ أ ، والكشف والبيان ١٣/ ٢٣/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) جامع البيان ٢٩/ ٢٣١ ، والنكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٢ ، وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ في العظمة ، وابن المنذر .

وعلى هذا القول : النشر بمعنى الإحياء من قولهم : نشر الله الميت بمعنى أنشره ، والمطر[١] يحيي الأرض ، فالأمطار ناشرة وناشرات[٢] .

٤. قوله : ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ الأكثرون[٣] على أنها الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، وهو قول مقاتل[٤] ، (والكلبي[٥])[٦] .

وقال مجاهد : هي الريح ، وعلى هذا «فالفارقات» الرياح التي تفرق بين السحاب فتبدده[٧] .

---

(١) بياض في (ع) .

(٢) النشر لغة : الرائحة الطيبة ، والنَّشْر أيضاً : الكلأ إذا يبس ، ثم أصابه مطر في دُبر الصيف فاخضر ، وقد نَشَرت الأرض ، فهي ناشرة إذا أنبتت ذلك .
والنَّشَر بالتحريك : المُنتشر ، ونَشَرَ الميت ، يَنْشُرُ نُشُوراً ؛ أي عاش بعد الموت ، وأنشرهم الله ؛ أي أحياهم ، واكتسى البازي ريشاً نَشَراً ؛ أي منتشراً واسعاً طويلاً ، ونشرت الكتاب خلاف طويته .
انظر : مقاييس اللغة (نشر) ٥/ ٤٣٠ ، وتهذيب اللغة ١١/ ٣٣٨ ، والصحاح ٢/ ٨٢٧ ، وتاج العروس ٣/ ٥٦٥ .

(٣) ممن قال بذلك : ابن عباس ، وأبو صالح ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن مسعود .
انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٣٢ ، والكشف والبيان : ج ١٣/ ٢٣/ أ ، النكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين في زاد المسير ٨/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ .

(٤) الذي ورد عنه في تفسيره القرآن فرق بين الحق والباطل ٢٢٣/ أ ، وورد بمثله في الوسيط من غير عزو .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ .

وقال قتادة : هي آيُ القرآن فرقت بين الحق والباطل ، والحلال والحرام[١] ، (وهو قول الحسن[٢])[٣] ، (وقال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به الرسل[٤])[٥] .

٥. قوله تعالى : ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة في قول الجميع[٦] .

قال مقاتل : تلقي بالروح[٧] .

وقال قتادة : تلقي بالقرآن[٨] .

---

(١) جامع البيان ٢٩/ ٢٣٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٣٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٢ وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) المراجع السابقة عدا الدر المنثور وانظر أيضاً : الكشف والبيان ١٣/ ٢٣/ أ ، تفسير الحسن البصري ٢/ ٣٨٦ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٥ بتصرف .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) قال بذلك : ابن عباس ، وقتادة ، وسفيان الثوري ، وابن مسعود ، ومسروق ، والربيع بن أنس ، والسدي . انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨٩ ، وعزاه الماوردي إلى الكلبي في النكت والعيون ٦/ ١٧٧ ، وبه قال السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٣٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان : ج ١٣/ ٢٣/ أ .
وحكي عن جمهور المفسرين في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، وزاد المسير ٨/ ١٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ .
وهناك قولان آخران مخالفان لما ذكر الجمهور :
أحدهما : المراد الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل إليهم . قاله قطرب .
والآخر : أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال .
انظر : النكت والعيون ٦/ ١٧٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤ .
قلت : ما ذكر من القولين المخالفين للجمهور لم يعتد بهما الإمام الواحدي ، ولم ينظر إليهما ، وَعَدَّ قول الجمهور والغالبية هو قول بالإجماع ، وهذا ما قررناه سالفاً ، والله أعلم .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٤٠ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٣٢ .

وقال الكلبي : تلقي الذكر إلى الأنبياء[١] .

وبعض المفسرين يخص الآية بجبريل[٢] ، وعلى هذا يجوز أن يسمى باسم الجماعة ، وذكرنا ذلك في قوله : ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[٣] [الصافات :٣] .

٦. قوله تعالى : ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ قال قتادة : عذراً من الله ، ونذراً منه إلى خلقه[٤] ، ونحو هذا قالت الجماعة[٥] .

وفيهما القراءتان : التثقيل ، والتخفيف[٦] .

قال الفرَّاء : وهو مصدر مثقلاً كان أو مخففاً ، والمعنى : إعذاراً ، وإنذاراً[٧] .

واختار أبو عبيد التخفيف ، وقال : لأنهما في موضع المصدرين إنما هما : الإعذار ، والإنذار ، وليسا بجمع فيثقلا[٨] .

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ بمعناه .

(٢) منهم مقاتل في رواية له . انظر : تفسير مقاتل ٢٢٣/ أ ، المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ .

(٣) ومما جاء في سبب تسمية جبريل ـعليه السلامـ بالجمع ، قال الواحدي : وذكر بلفظ الجمع إشارة إلى أنه كبير الملائكة ، وهو لا يخلو من أعوان وجنود له من الملائكة يعرجون بعروجه ، وينزلون بنزوله .

(٤) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٤٠ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٢ وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) منهم الفرَّاء ، معاني القرآن ٣/ ٢٢٢ ، والطبري جامع البيان ٢٩/ ٢٣٢ ، والسمرقندي بحر العلوم ٣/ ٤٣٤ ، والماوردي النكت والعيون ٦/ ١٧٧ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، ويعقوب عُذْراً خفيفة ، أو نُذُراً مثقلة .
وقرأ : أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ، وخلف : ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ بالتخفيف جميعاً .
انظر : كتاب السبعة : (٦٦٦) ، القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٣٧ ، والحجة ٦/ ٣٦٢ ، والكشف ٢/ ٣٥٧ ، والمبسوط : (٣٩١) ، البدور الزاهرة : (٣٣٢) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٢ بتصرف .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

وقال أبو إسحاق : معناهما المصدر ، والتثقيل[١] والتخفيف[٢] بمعنى واحد ، ونصبه على ضربين :

أحدهما : مفعول على البدل من قوله : ﴿ذِكْرًا﴾ [المرسلات :٥] .

والثاني : على المفعول له ، فيكون «الملقيات ذكراً» للإعذار والإنذار[٣] .

وقال (أبو الحسن)[٤] الأخفش : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ؛ أي إعذاراً أو إنذاراً ، وقد خففتا[٥] جميعاً ، وهما لغتان[٦] .

قال أبو علي الفارسي : العذر ، والعذير[٧] ، والنذر ، والنذير ، مثل : النكر والنكير ، وهما جميعاً مصدران ، ويجوز التخفيف فيهما على حد التخفيف[٨] في العُنق ، والأُذُن قال : ويجوز في قولهم من [ضمَّ][٩] أن يكون «عُذُراً» جمع عاذر ، كشارف وشُرُف ، وكذلك «النُّذُر» يجوز أن يكون جمع نذير ، كقوله تعالى : ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم :٥٦] ، ويكون «عُذُراً أو نُذُراً» على هذا القول حالاً من الإلقاء ، كأنهم يُلْقُون الذكر في حال العذر ، والنذر .

---

(١) أي عُذُراً أو نُذُراً .
(٢) أي عُذْراً أو نُذْراً .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦ بتصرف يسير .
(٤) ساقط من (أ) .
(٥) في (أ) : خففتا .
(٦) نقلاً عن الحجة ٦/ ٣٦٣ .
(٧) بياض في (ع) .
(٨) بياض في (ع) .
(٩) في كلا النسختين : يقل ، ولا تستقيم العبارة بها ، والصواب ما أثبته من مصدره ، وهو الحجة ٦/ ٣٦٣ .

وذكر أيضاً وجهاً آخر في انتصاب ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ وهو أن يكون مفعول الذكر كأنه قيل : فالملقيات أن يذكر عُذْراً أو نُذْراً[١] ، وهو غير ما ذكر أبو إسحاق ، فقد حصل أربعة أقوال : وجهان لأبي إسحق ، ووجهان لأبي علي ، واختار المبرِّد أن يكون انتصابه على الحال ؛ لأنه قال : هما جمعان ، الواحد : عذيراً ونذيراً[٢] ، (وأنشد[٣] [لحاتم الطائي][٤] :

أماويَّ قَدْ طالَ التَّجَنُّبُ والهَجْرُ وقدْ عَذَرَتْني في طِلابكُمُ العُذْرُ[٥]

فالعذر في هذا البيت جماعة لمكان لحاق علامة التأنيث)[٦] .

٧. ومن أول السورة إلى هاهنا أقسام ذكرها الله -تعالى- على قوله : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ وهذا جواب القسم .

قال مقاتل : إنما توعدون من أمر الساعة لكائن[٧] .

وقال الكلبي : إنما توعدون من الخير والشر لواقع بكم[٨] .

٨. ثم ذكر متى يقع ، فقال : ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ قال ابن عباس : يريد ذهاب ضوئها[٩] .

---

(١) الحجة ٦/ ٣٦٢ ، ٣٦٣ باختصار .

(٢) انظر : فتح القدير ٥/ ٣٥٦ .

(٣) أي أبو علي الفارسي .

(٤) بياض في (أ) ، وعند أبي علي في الحجة لحاتم فأثبته ، وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني . انظر : ديوانه ٦ .

(٥) ديوان حاتم الطائي ٤٢ برواية : من بدلاً من : في .

(٦) ما بين القوسين نقلاً عن الحجة ٦/ ٣٦٣ .

(٧) تفسير مقاتل ٢٢٣/ أ .

(٨) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٦٩ بنحوه .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

وقال مقاتل : حُوِّلت من الضوء إلى السواد[١] . وقال المبرِّد : أي مُحي ضوؤها[٢] .

وقد ذكرنا تفسير الطمس عند قوله : ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[٣] [يونس :٨٨] .

٩. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ قال أبو إسحاق : معناه : شقت[٤] .

والفرج : الشق ، يقال : فرجه الله فانفرج ، وكل مشقوق فرج[٥] .

وقال ابن قتيبة : فتحت[٦] ، ويدل على هذا قوله : ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النبأ :١٩] .

١٠. ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ قلعت من مكانها فذهبت عن وجه الأرض ، كقوله : ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾ [طه :١٠٥] .

قال الزَّجَّاج : إذا [ذهبت][٧] بها كلها بسرعة[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢٢٣/ أ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) وقد أحال الإمام الواحدي إلى سورة النساء ٤٧ لتناوله معنى الطمس . وهي ساقطة من النسخ التي بين يدي .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦ بنصه .

(٥) انظر : المعنى اللغوي في كل من مقاييس اللغة (فرج) ٤/ ٤٩٨ ، وتهذيب اللغة ١١/ ٤٤ ، وراجع أيضاً : المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لعبدالكريم الغرباوي ٢/ ٦٠٢ ، والمفردات في غريب القرآن : (٣٧٥) .

(٦) تفسير غريب القرآن : (٥٠٥) .

(٧) في (أ) : هبت ، والمثبت من معاني القرآن وإعرابه .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦ بنحوه .

وقال المبرِّد : «نسفت» قلعت من مواضعها ، وأنشد [للمُمَزَّق العَبْدي[١]][٢] :

وقد تَخِذَتْ رِجْلي إلى جَنْتِ غَرْزِها
نَسِيفاً كأفْحُوصِ القَطَاةِ المطَرَّقِ[٣]

قال : يعني : ما سعت برجليه من وبرها[٤] .

١١. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ ، قال الفرَّاء[٥] ، والزَّجَّاج[٦] ، وأبو علي[٧] : الهمزة في «أقتت» بدل من الواو ، وكل «واو» انضمت ، وكانت ضمتها لازمة ، فإنها تبدل على الاطراد همزة أولاً [ثانية][٨] ، من ذلك : أن تقول : صَلّي القومُ أُحدانا ، وهذا [أُجوه][٩] حسان ، وأدْؤر في جمع دار ، والهمزة أصلها واو ؛ وذلك لأن ضمة الواو ثقيلة[١٠] ، كما كان كسر الياء ثقيلاً ، وأما قوله : ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ

(١) المزَّق العبدي : هو من نُكرة ، واسمه شاس بن نَهار بن أسود ، وهو جاهلي قديم من شعراء البحرين . طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٧٤ ، والشعر والشعراء : (٢٥٢) .

(٢) ورد في نسخة (أ) : وأنشد لذي الرمة ، والصواب ما أثبتناه ، فقد نسب في الصمعيات للمُمَزَّق العبدي ، وكذا في اللسان .

(٣) ورد البيت في الأصمعيات ١٦٥ برواية : لدى بدلاً من : إلى . تهذيب اللغة (نسف) ١٣/ ٦ ، برواية : لدي بدلاً من : إلى ، لسان العرب (فحص) ٧/ ٦٣ ، و(نسف) ٩/ ٣٢٩ ، و(طرق) ١٠/ ٢٢٣ ، وانظر : التكملة للفارسي : (٣٤٦) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦ .

(٧) الحجة ٦/ ٣٦٤ .

(٨) في (أ) : ثالثة ، والمثبت من الحجة .

(٩) في (أ) : أوجه ، والمثبت من معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٢٣ ، وانظر : الوسيط ٤/ ٤٠٨ .

(١٠) فكأنها اجتمعت فيه واوان ، فقلبت إحداهما همزة تخفيفاً . التبصرة والتذكرة ٢/ ٨١٣ .

بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة :٢٣٧] فلا يجوز فيه البدل ؛ لأن الضمة لا تلزم[١] ، ألا ترى أنه لا يسوغ في نحو قولك : هذا عدوٌّ أن تبدل ، والدليل على أن همزة «أقتت» مبدلة ، وأن [أصل][٢] الكلمة من الوقت ، ويدل عليه قراءة أبي عمرو : «وُقِّتَتْ» بالواو على الأصل[٣] .

قال مجاهد في قوله : «أقتت» : وعدت وأجلت[٤] . قال أبو إسحاق : أي جعل لها وقتاً[٥] .

وفيه قول آخر ، قال الكلبي[٦] ، ومقاتل[٧] : جمعت ليشهدوا على أممهم بالبلاغ إليهم . وهو اختيار الفرَّاء[٨] ، وابن قتيبة . قال : جمعت لوقتها يوم القيامة[٩] .

وهذا القول أليق بظاهر التفسير ؛ (وذلك أن جواب «إذا» في هذه الآية محذوف على تقدير : فإذا النجوم طمست ، وإذا ، وإذا ، وإذا ، كان كذا وكذا ،

---

(١) لأن ضمة التقاء الساكنين لا تثبت ولا يعتد بها . انظر : التبصرة والتذكرة لأبي محمد الصيمري ٢/ ٨١٤ .

(٢) في (أ) : أصله ، ولا تستقيم العبارة بالضمير .

(٣) انظر : الحجة ٦/ ٣٦٤ ، وكتاب التبصرة ٧١٨ ، والبدور الزاهرة ٣٣٢ .
والباقون : أُقتت بألف .

(٤) جامع البيان ٢٩/ ٢٣٣ ، والنكت والعيون ٦/ ١٧٧ ، والدر المنثور ٨/ ٣٨٣ ، وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦ بنصه .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) معاني القرآن ٣/ ٢٢٣ .

(٩) تفسير غريب القرآن ٥٠٦ ، والعبارة عبارة الفرَّاء ، أما ابن قتيبة ؛ فقد قال : جمعت لوقت ، وهو يوم القيامة .

والـــذي يليق بهذا أن يكون المعنى : وإذا الرســـل[١] جعل لهـــا وقت ؛ لأن ذلك التوقيت قد سبق من الله ، وجمع ما ذكر من الطمس ، والفرج ، والنسف ، إنما يقع في القيامة ، فلذلك هذا التوقيت وجب أن يكون واقعاً فيه ، وقد جمعهم للميقات المعلوم ، وما ذكرنا من إضمار الجواب هو قول الأخفش)[٢] .

١٢. ثم ذكر أن الرســـل كانوا قـــد ضرب لهم الأجـــل ، لجمعهم ، فقال : ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ ؛ أي أُخِّـــرت[٣] . قال الفرَّاء : يعجب العباد من ذلك اليوم[٤] .

١٣. ثم بيَّن ، فقال : ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾.

قـــال ابن عباس : يوم يفصل الرحمن بين العبـــاد[٥] ، وهذا كقوله : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان : ٤٠] .

١٤. ثم عظَّم ذلك اليوم ، وهوّل منه ، فقـــال قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ .

قال مقاتل : هذا تعظيم لشدته[٦] .

وقال الكلبي : يقول وما علمك بيوم الفصل[٧] .

---

(١) في (أ) : الرجل ، والصواب ما أثبتناه لاستقامة المعنى به .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وما بين القوسين هو من قول الأخفش .

(٣) التأجيل لغة : الأجل : مدة الشيء ، والآجل والآجلَةُ : ضد العاجلة . الصحاح (أجل) ٤/ ١٦٢١ ، .

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٢٣ بنصه .

(٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٣٣ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٢٧٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٤٤ .

(٦) تفسير مقاتل ٢٢٣/ ب .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

١٥. ثم ذكر حال المكذبين الذين كذبوا بذلك اليوم ، فقال : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[١] .

١٦. ثم أخبر بما فعل بالكفار من الأمم الخالية ، فقال : ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾.

قال مقاتل : يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم[٢] .

١٧. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ قال[٣] : يعني كفار مكة حين كذبوا محمداً ﷺ[٤] .

قال الفرَّاء[٥] ، والزَّجَّاج[٦] : هو رفع على الاستئناف ، على معنى : سنفعل ذلك ، ويتبع الأول الآخر ، ويدل على الاستئناف قراءة عبدالله : «سنتبعهم»[٧] فهذا تحقيق للرفع .

وقال أبو علي : الجزم في : «نُتْبِعْهُم»[٨] على الإشراك في «ألم» ليس بالوجه ، ألا ترى أن الإهلاك في ما مضى ، والإتباع للآخرين لم يقع مع الأول ، فإذا كان كذلك

---

(١) الويل : ذكر بعض المفسرين أن ويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٢٣/ ب بمعناه ، انظر : الوسيط ٤/ ٤٠٨ .

(٣) أي مقاتل .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمثله في الوسيط ٤/ ٤٠٨ من غير عزو .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٢٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٧ .

(٧) وردت قراءة ابن مسعود في الكشف والبيان ١٣/ ٢٣/ ب ، زاد المسير ٨/ ١٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٧ ، وهي قراءة شاذة لعدم صحة سندها ، ولعدم ورودها في كتب التواتر ، وهي من باب التفسير ، والله أعلم .

(٨) قرأ بذلك : الأعرج ، وهي قراءة شاذة لعدم صحة سندها ، ولوردها في المحتسب لابن جني ٢/ ٣٤٦ ، قال أبو الفتح بن جني : يحتمل جزمه أمرين :

أحدهما : أن يكون أراد معنى قراءة الجماعة : نتبِعُهُمْ بالرفع ، فأسكن العين استثقالاً لتوالي الحركات . =

لم يحســـن الإشراك في الجزم ، ولكن على الاستئناف[١] [أو][٢] على [أن][٣] يجعل خبر مبتدأ محذوف ، قال ويجوز الإســـكان فيـــه للتخفيف لا للجزم[٤] ، كما روي في بيت امرئ القيس :

فاليومَ أشربْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ[٥]

وقد تقدم القول فيه[٦] .

١٨. ثم زاد تخويفاً لأهل مكة فقال : قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

أي (مثل ما فعلنا بمن تقدم من الأمم ، وموضع الكاف : نصب)[٧] .

= والآخـــر : أن يكون جزمـــاً فيعطفه على قوله : نهلـــك فيجري مجرى قولك : ألم تـــزرني ثم أعطك ؟ كقولك : فأعطاك ألم أحسن إليك ثم أُوال ذلك عليك .

(١) وهو ما تحمله قراءة الجمهور .

(٢) في (أ) : أبو ، والمثبت من مصدر الكلام ، وهو الحجة ٦/ ٣٦٤ .

(٣) أن ساقطة من (أ) ، والمثبت من الحجة ، وبه يستقيم المعنى ، وينتظم الكلام .

(٤) الحجة ٦/ ٣٦٤ بتصرف .

(٥) عجز البيت :

إثماً من الله ولا واغِل .

والبيت في ديوانه : (١٤٩) ، ط . دار صادر برواية : فاَليوم أُسقى غير مستحقب .

والمستحقب : المكتســـب للإثم الحامل له ، الواغل : الذي يدخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى . (ديوانه) .

(٦) لم أستطع التوصل إلى الموضع المشار إليه .

(٧) ما بين القوسين نقله عن الزَّجَّاج بتقديم وتأخير في الكلام . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٧ .

ثم ذكر بدء خلقهم لئلا يكذبوا بالبعث ، فقال :

٢٠-٢١ . قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وهذا كقوله : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[٨] [السجدة :٨] ، وهذا مذكور في سورة المؤمنين[٩] .

٢٢ . ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني مدة الحامل ، ومنتهى الحمل .

٢٣ . ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قال الكلبي : يعني خلقه ، كيف يكون قصيراً ، وطويلاً ، وذكراً ، وأنثى[١٠] .

وفيه قراءتان : التخفيف ، والتشديد[١١] .

قال الفرَّاء : والمعنى فيهما واحد ؛ لأن العرب تقول : قُدِر عليه الموت ، والرزق ، وقدِّر بالتشديد ، وجه من احتج للتخفيف بقوله : ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات :٢٣]

---

(٨) ومما جاء في تفسير من ماء مهين ؛ أي ماء ضعيف ، وهو النطفة .

(٩) سورة المؤمنون ١٢-١٣ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ . ومما جاء في تفسير قوله : ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ : القرار يعني مستقر ، مكين ؛ أي مطمئن غير مضطرب ، يقال مكين بيِّن المكانة . قال ابن عباس ، والمفسرون في قوله : مكين يريد الرحم ، مكن فيه بأن هيئ لاستقراره فيه ، إلى بلوغ أمده الذي جعل له .

(١٠) الوسيط ٤/ ٤٠٨ .

(١١) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، والكسائي : فقدَّرنا بالتشديد ، وقرأ الباقون : فقَدَرْنا بالتخفيف .
انظر : كتاب السبعة ٦٦٦ ، والحجة ٦/ ٣٦٥ ، وحجة القراءات ٧٤٣ ، والمبسوط ٣٩١ ، والكشف ٢/ ٣٥٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩٧ .

لا يلزم ؛ لأن العرب تجمع بين اللغتين ، قال الله تعالى : ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ [الطارق :١٧] ، وقال الأعشى :

وأَنْكَرَتْني وما كانَ الذي نَكِرَتْ(١)(٢)

قال أبو علي : ويجوز أن يكون : «نعم المقدرون» فجاء على حذف الزوائد ، نحو : دلو الدالي(٣) ، وأجواز ليل غاضْ(٤)(٥) . وذكرنا ذلك في قوله : ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾(٦) [الحجر :٢٢] .

---

(١) عجز البيت :

مِنَ الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا . .

وموضع الشاهد : يقال : أنكرت الرجل إذا كنت من معرفته في شك ، ونكرته إذا لم تعرفه . وقال معمر بن المثنى : نَكِرْته وأنْكَرْته بمعنى واحد .

انظر : ديوانه ١٠٥ ط . دار صادر ، مجالس العلماء للزَّجَّاجي ٢٣٥ ، والخصائص ٣/ ٣١ ، والمحتسب ٢/ ٢٨٩ ، وشرح أبيات معاني القرآن ٢٠٧ ؛ ش ٤٦٧ .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ بتصرف يسير .

(٣) هو من بيت للعجاج ، وقد ورد في ديوانه ٥٩ : تح عزة حسن ، لسان العرب (دلا) ١٤/ ٢٦٥ من قوله :

يَجْفِلُ عن جَمَّاتِهِ دَلْوَ الدَّال غَيَايةً غَشراء مِنْ أجْنٍ طال

يريد المُدلي ، والطالي : الذي عليه الطلاوة تعلوه فتستره .

(٤) أي مغضٍ ، وهذا من بيت لرؤبة :

يخرجنَ من أجْوازِ ليلٍ غاضِ نَضْوَ قداحِ النابلِ النواضي

كأنما ينضحنَ بالخضخاضِ

والخضخاض : القطران ، يريد أنها عرقت من شدة السير فاسودت جلودها ، وليلة غاضية : شديدة الظلمة ، ونار غاضية : عظيمة مُضيئة . انظر : لسان العرب (غضا) ١٥/ ١٢٨ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ومما جاء في تفسير الآية :

فإن قيل : كيف قال لواقح وهي ملقحة ؟ والجواب : ما ذهب إليه أبو عبيدة : أن لواقح هاهنا بمعنى ملاقح ، جمع ملقحة ، فحذفت الميم منه ، ورُدت إلى الأصل نحو : قول رؤبة : * يخرجن من أزواج ليل غاض * يريد : مغض ، وقد قال العرب : أبقل النبت ، فهو باقل ، يجعلون باقل بدلاً من مبقل ، =

ثم بيَّن لهم صنعه ليعتبروا فيوحدوه ، فقال :

٢٥-٢٦ . قوله تعالى :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ معنى الكفت في اللغة : الضم ، والجمع ، يقال : كَفَتُّ الشيء ؛ أي ضممته فانكفت ؛ أي انضم ، ومنه قول أوس :

كِرامٌ حين تَنْكَفِتُ الأفاعي إلى أجحارهنَّ من الصَّقيعِ[1]

أي ينضم ، قال أبو عبيدة : كفاتاً ؛ أوعية ، يقال للنِّحْي : كِفْتٌ ، كِفت ، وكفيت[2] ؛ لأنه يحوي اللبن ويضمه ، ويقال أيضاً : جِرابٌ كَفِيتٌ وكِفتٌ إذا كان لا يضيِّع شيئاً مما يجعل فيه ، ويقال للقدر أيضاً : كِفْتٌ ، ومنه المثل : كِفْتٌ إلى وئيَّةٍ[3] .

= ففي هذا دليل على تعيين لاقح عن ملقح ، وإلى قريب من هذا ذهب الفرَّاء ، فقال : إنه يجوز فاعل لمفعل ، كما جاز لمفعول ، نحو : ماء دافق ، وسر كاتم ، وليل نائم ، وكما قيل المبروز بمعنى المبرز في قوله : الناطق المبروز والمختوم ؛ بمعنى أن هذه الأشياء لم يرد البناء على الفعل ، واختار أبو علي ـ أيضاً ـ قول أبي عبيدة ، فقال : لواقح بمعنى ملاقح على حذف الزيادة .

(١) ورد البيت في كتاب سيبويه ٣/ ٥٧٧ ، وقد استشهد به على جواز جمع جحر على أجحار جمع قلة ، أما الجحرة ؛ فهي جمع كثرة له ، ولم ينسبه ، والمقتضب ٢/ ١٩٧ ، والمخصص ٨/ ٨٥ المجلد الثاني ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٩ غير منسوب ، ولم أعثر عليه في ديوانه .
ومعنى البيت : انكفت القوم إلى منازلهم : انقلبوا ، وهي هنا بمعنى تنقبض ، الصقيع : الذي يسقط من السماء بالثلج ، ويعني : أنهم كرام إذا أجدب الزمان ، واشتد البرد . المقتضب (حاشية) ٢/ ١٩٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٨١ بتصرف يسير .

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٣٧ ، الكِفْتُ : القِدْر الصغيرة ، والوئيَّة : الكبيرة ، والكفت من الكفت وهو الضم ، سمي به لأنه يكفت ما يلقى فيه ، والوئيَّة من الوَأي ، وهو الضخم ، يقال : فرس وأي إذا كان ضخماً ، والأنثى وأية وآة .

يضربُ للرجلِ يحملكَ البَلِيَّة ثم يزيدكَ إليها أخرى صغيرةً

ويقال : كفت وكفت إذا ضم شيئاً إلى شيء ، ومنه الحديث : «[و][(١)] اكفتوا صبيانكم»[(٢)] ، وانْكَفَت الثوب إذا انضم وتقلص[(٣)] .

قال ابن عباس : يريد مساكن وقبوراً[(٤)] .

وقال مقاتل : تكفت الأحياء فيسكنون ظهرها ، وتكفت الأموات في بطنها[(٥)] .

وقال مجاهد : تكفت الميت ، فلا يرى منه شيء ، والحي إذا أوى إلى بيته[(٦)] .

وقال قتادة : تكفتهم أحياء فوقها على ظهرها ، و«أمواتاً» إذا قبروا فيها[(٧)] . وهذا قول جماعة المفسرين[(٨)] .

---

(١) في (أ) : أو ، والمثبت مثل ما جاء في الأحاديث .

(٢) الحديث أخرجه : أبو داود في سننه ٢/ ٣٣٣ ، باب في إيكاء الآنية ، عن جابر بن عبيدالله ـ رفعه ـ قال : واكفتوا صبيانكم عند العشاء ، وقال مسدد : عند المساء ، فإن للجن انتشاراً وخَطْفة .
والإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٨٨ .
وقد أورد البخاري بمعنى هذا الحديث ؛ قال : وأكفئوا صبيانكم ، الجامع الصحيح ٢/ ٤٤٦ ح٣٣١٦ : كتاب بدء الخلق ، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم . . . وخمس من الدواب فواسق . . ١٦ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (كفت) ١٠/ ١٤٦ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٩٠ ، والصحاح ١/ ٢٦٣ ، ولسان العرب ٢/ ٧٩ ، وجميعها لم تذكر بيت أوس .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢٢٣/ ب بمعناه .

(٦) الدر المنثور ٨/ ٣٨٤ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٤٠ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٣٧ بنحوه ، النكت والعيون ٦/ ١٧٩ بنحوه .

(٨) منهم : الشعبي أيضاً . انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٣٧ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٣٦ ، والنكت والعيون ٦/ ١٧٩ . وبه قال الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٧ .

قال الفرَّاء : تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم ، وتكفتهم أمواتاً إذا قبروا فيها ، في بطنها ؛ أي تحفظهم وتحوزهم[١] ، قال : ونصبك[٢] الأحياء والأموات بوقوع الكفات عليه ، كأنك قلت : ألم نجعل الأرض كفاتَ أحياءٍ وأمواتٍ ، فإذا نونت نصبت ، كما يقرأ : ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾ [البلد : ١٤-١٥][٣] .

وقال أبو علي : (إن كان الكفات مصدر الكفت ، كما أن الكتاب مصدر الكتب ، فقد انتصب (أحياء) به ، كما انتصب بقوله : (أو إطعام) (يتيماً) ، قال : وقد قيل : إن الكفات جمع الكافتة ، فأحياء على هذا منتصب بالجمع كقوله : غُفُرٌ ذَنْبُهُمُ غَيرُ فُجُرْ[٤])[٥] ، وقال الكلبي : يريد على ظهرها منازلهم وعيشهم ، وفي بطنها قبورهم[٦] .

٢٧. قوله تعالى : ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ ؛ أي عاليات ، وكل عال فهو شامخ ، شمخ يشمخ شموخاً ، ويقال للمُتكبِّر : شمخ بأنفه ، وجبل شامخ ، وجبال

(١) في معاني القرآن تحرزهم ٣/ ٢٢٤ .
(٢) في (أ) : صمك .
(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٢٤ بتصرف ، وما ذهب إليه الفرَّاء رجحه الطبري في جامع البيان ٢٩/ ٢٣٨ .
(٤) البيت لطرفة بن العبد ، وصدره : ثم زادوا أَنَّهُمْ في قومهم .
ومعناه : غفر ذنبهم ؛ أي يغفرون ذنب المذنب . غير فجر : أي ولا يفتخرون لرصانتهم . ديوانه ٥٥ .
(٥) ما بين القوسين من قول أبي علي ، و لم أعثر على مصدر لقوله .
(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

شامخة ، وشامخات ، وشوامخ ؛ أي طوال عالية في السماء مرتفعات ، وكل هذا من ألفاظ المفسرين[١] ، وأهل المعاني[٢] .

قوله تعالى : ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ تقدم تفسيره عند قوله : ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾[٣] .

وقوله : ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾[٤] [الفرقان :٥٣] .

قال مقاتل : وهذا كله أعجب من البعث[٥] .

٢٨. قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ؛ أي بالبعث .

٢٩. ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة ، فقال : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ .

قال الكلبي : يقول لهم الخزنة : انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا[٦] .

---

(١) قال قتادة : يعني جبال ، وعن ابن عباس : جبالاً مشرفات . انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٣٨ ، وإلى القول : عاليات مرتفعات ذهب البغوي : معالم التنزيل ٤/ ٤٣٤ ، وابن عطية : المحرر الوجيز ٥/ ٤١٩ ، وابن الجوزي زاد المسير ٨/ ١٥٧ ، والفخر الرازي : التفسير الكبير ٣/ ٢٧٤ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٠ ، والخازن لباب التأويل ٤/ ٣٤٤ .

(٢) ذهب إليه : الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٧ .
قال ابن فارس : شمخ : أصل صحيح يدل على تعظم وارتفاع ، يقال : جبل شامخ ؛ أي عالٍ ، وشمخ فلان بأنفه : إذا تعظم في نفسه . انظر : مقاييس اللغة (شمخ) ٣/ ٢١٢ ، وتهذيب اللغة ٧/ ٩٦ ، ولسان العرب ٣/ ٣٠ .

(٣) في (أ) : وردت : أسقيناكم ، والآية من سورة الحجر ٢٢ ، ومما جاء في تفسيرها : ومعنى فأسقيناكموه : العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ، أو من السماء ، أو نهر يجري : أسقيت ؛ أي جعلته شرباً له ، وجعلت له منها مسْقى ، فإذا كانت السقيا لشفته قالوا : سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه ، وقال أبو علي : يقول سَقَيْتُه حتى رُوي ، وأسقيته نهراً جعلته شِرْباً له ، وقوله : فأسقيناكموه ؛ أي جعلناه سقياً لكم .

(٤) ومعنى قوله فراتاً : الفرات أعذب المياه ، وقد فَرت الماء يفرت فروتة إذا عذب ، فهو فرات .
والفرات لغة : الماء العذْب ، يقال : ماء فُرات ، ومياه فُرات . انظر : مختار الصحاح ٤٩٤ ، والمصباح المنير ٢/ ٥٥٨ .

(٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٣٤ ، ولم أعثر في تفسيره على هذا القول ، أو نحوه .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

٣٠. ثم ذكر ما أمروا بالانطلاق إليه ، فقال : قوله تعالى : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ .

قال المفسرون[١] : (إن الشمس تدنو[٢] يوم القيامة من رؤوس[٣] الخلائق ، وليس عليهم يومئذ لباس ، ولا لهم كنان[٤] ، فتلفحهم الشمس ، وتسفعهم ، وتأخذ بأنفاسهم ، [ومد][٥] ذلك اليوم وكربه ، ثم ينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظلِّه ، وهناك يقول : ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور :٢٧] ، ويقول للمكذبين : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات :٢٩] من عذاب الله وعقابه ، انطلقوا من ذلك إلى ظل من دخان نار جهنم قد سطع ، ثم افترق ثلاث فرق ، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب ، فيكونون[٦] فيه إلى أن يفرغ من الحساب ، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه)[٧] .

---

(١) يعني به ابن قتيبة .

(٢) في (أ) : تدنوا .

(٣) في (أ) : روش .

(٤) كنان : أي الغطاء ، والجمع أكنة ، مثل : أغطية . المصباح المنير ٢/ ٦٥٧ .

(٥) في (أ) : ود ، وما أثبته من المصدر الأصلي للقول ، وهو تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣١٩ لاستقامة المعنى ، إذ لا يتحقق للمعنى فهم لو أثبت : ود .

(٦) في (أ) : فيكونوا ، وما أثبته من تأويل مشكل القرآن .

(٧) ما بين القوسين نقله عن ابن قتيبة من تأويل مشكل القرآن ٣١٩ ، ٣٢٠ بشيء من الاختصار ، وحكاه الفخر عن المفسرين : التفسير الكبير ٣٠/ ٢٧٥ .

وعن قتادة في معنى الآية ، قال : هو كقوله : ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ، والسرادق : دخان النار ، فأحاط بهم سرادقها ، ثم تفرق فكان ثلاث شعب ، فقال : انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب : شعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا . جامع البيان ٢٩/ ٢٣٩ .

وعن مجاهد قال : إن الشعبة تكون فوقه ، والشعبة عن يمينه ، والشعبة عن شماله ، فتحيط به . النكت والعيون ٦/ ١٧٩ .

وعن الضحاك : أن الشعب الثلاث : الضريع ، والزقوم ، والغسلين . المرجع السابق ، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦١ .

وعن الماوردي : أن الشعب الثلاث : اللهب ، والشرر ، والدخان . النكت والعيون ٦/ ١٧٩ .

ثم وصف ذلك الظل ، فقال :

٣١. ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾[١] (أي لا يظلُّكم من حَرِّ هذا اليوم ؛ بل يدنيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس)[٢] .

﴿وَلَا يُغْنِي﴾ عنكم ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾ ؛ أي لا يدفع عنكم من حره شيئاً[٣] ؛ كما يدفع الظل الحر .

قال الكلبي : يريد : لا يرد لهب جهنم عنكم[٤] .

(والمعنى : أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب ، وهذا مثل قوله : ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾)[٥] [الواقعة :٤٣-٤٤] .

٣٢. ثم وصف النار فقال : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ (يقال : شررة ، وشرر ، وشرار ، وهو : ما تطاير من النار متبدداً في كلِّ جهة ، وأصله من : شررت الثوب إذا أظهرته ، وبسطته للشمس ، والشر ينبسط متبدداً ، وأنشد[٦] :

تنزو إذا شجها المزاجُ ... كما طارَ شرارٌ يطيره اللهب[٧]

أو كَشَرارِ العَلاةِ يضربها ... القَيْنُ على كلِّ وِجهَةٍ تَثِبُ)[٨]

---

(١) ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ .

(٢) ما بين القوسين نقله بنصه من تأويل مشكل القرآن ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣) في (أ) : كما يدفع عنكم حره شيئاً ، والكلام مكرر لا فائدة فيه .

(٤) الوسيط ٤/ ٤٠٩ .

(٥) ما بين القوسين نقله بتصرف عن ابن قتيبة من تأويل مشكل القرآن ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٦) لم ينسب البيت في التهذيب (نشر) ١١/ ٢٧٢ ، ولا في اللسان (الشر) ٤/ ٤٠١ .

(٧) لم يذكر في المرجعين السابقين .

(٨) ما بين القوسين نقله عن الأزهري . انظر : تهذيب اللغة (الشر) ١١/ ٢٧٢ . وأيضاً انظر : مادة الشر في كل من مقاييس اللغة ٣/ ١٨٠ ، والصحاح ٢/ ٦٩٥ ، ولسان العرب ٤/ ٤٠١ .

يصف الشرر . في قوله : ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ قولان :

أحدهما : أنه القصر من البناء .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد القصور العظام[١] .

وقال الكلبي : شبه الشرار من النار بالقصر من قصور الأعراب التي تكون على المياه[٢] .

قال ابن عباس : يعني الحصون والمدائن[٣] ، ونحو هذا روي عن ابن عباس ، قال : كالقصر العظيم[٤] ، وهو اختيار الفرَّاء[٥] ، وابن قتيبة[٦] . وذكرنا تفسير القصر عند قوله : ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان : ١٠][٧]

القول الثاني : في «القصر» أنها جمع قصْرة -ساكنة الصاد- مثل : جمْرة ، وجمْر ، وتمْرة ، وتمْر[٨] .

---

(١) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٧٦ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) جامع البيان ٢٩/ ٢٣٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ٢٤/ ب ، الدر المنثور ٨/ ٣٨٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وجميعها من طريق علي بن أبي صالح الوالبي .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٢٤ ، قال : يريد القصر من قصور مياه العرب .

(٦) تفسير غريب القرآن ٥٠٧ ، وانظر أيضاً : تأويل مشكل القرآن ٣٢٠ .

(٧) ومما جاء في تفسير قوله : ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ ؛ أي بيوتاً مبنية مشيدة ، ومعنى القصر في اللغة : الحبس ، وسمي هذا المبنى قصراً ؛ لأن من فيه مقصور عن أن يوصل إليه ، وكل شيء محوط على شيء فهو قصر .

(٨) قرأ الحسن بسكون الصاد . انظر : المحتسب ٢/ ٣٤٦ ، وهي قراءة شاذة لعدم صحة سندها ، ولعدم ذكرها في كتب القراءات المتواترة ، ورويت عن الحسن ، وهو ممن اشتهر عنه بالقراءة الشاذة ، وقد وردت هذه القراءة في كتب الشواذ .

قال المـبَّرد : يقال للواحدة مـن جزل الحطب الغليظ : قـصرة ، والجمع : قصر[١] .

قال الحسن : هو الجزل من الخشب[٢] .

وقال عبدالرحمن بن [عابس[٣]][٤] : سألت ابن عباس عن «القصر» ، فقال : خشب كنا ندخره للشتاء نقطعه ، كنا نسميه القصر[٥] .

وهو قول سعيد بن جبير[٦] ، ومقاتل[٧] ؛ إلا أنهم قالوا : هي أصول النخل ، والشجر العظام .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) جامع البيان ٢٩/ ٢٤٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٦ ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/ ٣٨٧ .

(٣) في (أ) : عباس ، والصـواب : عابس ، وهو ما ورد في جامع البيـان ٢٩/ ٢٤٠ ، والجامع الصحيح للبخاري ٣/ ٣١٩ : ح٤٩٣٢ ، وقد ورد في معـالم التنزيل عبدالرحمن بن عباس ، وهو تصحيف كما أسلفت بيانه .

(٤) عبدالرحمـن بن عابس بن ربيعة النخعي الكوفي ، روى عـن عبدالله بن عباس ، ثقة ، روى له الجماعة سوى الترمذي .
انظر : التاريخ الكبير ٥/ ٣٢٧ ت ١٠٣٨ ، والإكمال ٦/ ١٧ ، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٠١ .

(٥) ورد قولـه بمعناه في تفسـير عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ ، وجامـع البيان ٢٩/ ٢٤٠ ، والكشـف والبيان ١٣/ ٢٤/ ب ، النكت والعيون ٦/ ١٨٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ ، والتفسـير الكبير ٣٠/ ٢٧٦ ، والجامـع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦١ ، ولبـاب التأويل ٤/ ٣٤٥ ، والدر المنثـور ٨/ ٣٨٥ ، وانظر : الجامع الصحيح للبخاري ٣/ ٣١٩ ، ٣٢٠ح ٤٩٣٢ ، ٤٩٣٣ ، كتاب التفسير باب ٢ ، و٣ .
وقال القرطبي عن قول ابن عباس بأنه أصح ما قيل في تفسير الآية . الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٣ .

(٦) الكشف والبيان ١٣/ ٢٤/ ب ، معالم التنزيل ٤/ ٤٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦١ ، ١٦٢ ، وانظر : تفسير سعيد بن جبير ٣٦٥ .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

ولعل هذا التفسير على قراءة من قرأ بفتح «الصاد»[١] على أن الزَّجَّاج قال في «التسكين» القصر : جمع قصرة ، وهو الغليظ من الشجر[٢] .

٣٢. قوله عز وجل : ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ يعني : كأن ذلك الشرر .

قال ابن قتيبة : ووقع تشبيه الشرر [بالقصر][٣] في مقاديره ، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصُّفر[٤] .

(والجمالات : جمع جِمَال كما يقال : رجـالٌ ورجالات ، وبُيُوتٌ ، وبيوتاتٌ ، ومـن قرأ «جمالـة»[٥] ، فهي جمع : جَمَل ، كـما قالوا : حجر ، وحجـارة ، وَذَكر وذِكارة)[٦] .

هذا قول الفرَّاء[٧] ، والمبرَّد[٨] ، وزاد أبو علي ، فقال : «جمال» : جمع بالألف ، والتاء ، على صحيح البناء ، كما جمع على تكسيره في قولهم : «جمائل» ، وأما جمالة ،

---

(١) وقد قرأ بذلك : ابن عباس ، وسـعيد بن جبير : كالقِصَر بكسر القاف ، وفتح الصاد ، وعنهما أيضاً : كالقَصَر القاف والصاد مفتوحتان . انظر : المحتسب ٢/ ٣٤٦ . وهي قراءة شاذة لعدم صحة السند ، ويقال فيها ما قيل بقراءة تسكين الصاد .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٨ ، والذي يرجحه الطـبري أنه القصر من القصور ؛ لدلالة قوله : كأنه جمالات صفر على صحته ، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية . جامع البيان ٢٩/ ٢٤١ .

(٣) في (أ) : بالصقر ، وأثبت ما جاء في مصدر القول ، وهو تفسير غريب القرآن ٣٢٠ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٢٠ .

(٥) قرأ على التوحيد : حمزة ، والكسـائي ، وحفص عن عاصـم ، وخلف : وذلك بكسر الجيم ، وحذف الألف التـي بعد اللام ، وقرأ الباقون ، وهم : ابن كثير ، ونافـع ، وأبو بكر عن عاصم ، وأبو عمر ، وابن عامر ، ويعقوب ، وأبو جعفر : جمالات بألف ، وكسر الجيم . انظر : الحجة ٦/ ٣٦٥ ، والكشف ٢/ ٣٥٨ ، وكتاب التبصرة ٧١٨ ، وتحبير التيسير ١٩٦ ، والمهذب ٢/ ٣١٨ .

(٦) ما بين القوسين نقله عن الزَّجَّاج باختصار ، انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٨ .

(٧) معاني القرآن ٣/ ٢٢٥ بتصرف .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

فإن التاء لحقت جمالاً لتأنيث الجمع ، كما لحقت في : فحْل وفِحالة ، وذَكر وذِكارة ، ومثل لحاق «الهاء» في فِعالة لحاقها في [فُعولة][(١)] نحو : عمومة ، وخيوطة[(٢)(٣)] .

وقوله : ﴿صُفْرٌ﴾.

قال ابن عباس : يريد الإبل السود ، يقال له : أورق ، وأصفر[(٤)] .

قال الكلبي : الصفر : السود[(٥)(٦)] ، وهو قول مقاتل[(٧)] ، وقتادة[(٨)] .

قال الفرَّاء : الصفر : سُـود الإبل ، ألا ترى أسوَدَ من الإبل إلا وهو مشربٌ صفرة ، لذلك سـمت العرب سودَ الإبل : صفراً ، كما سمّوا أبيض الظباء أُدْماً لما يعلوها من الكدرة في بياضها[(٩)] .

(١) في (أ) : فعول ، والمثبت ما جاء في مصدر القول ، وهو الحجة .
(٢) خيوطه : خيط مثل فحولة ، زادوا الهاء لتأنيث الجمع . لسان العرب (خيط) ٧/ ٢٩٨ .
(٣) الحجة ٦/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ نقله عنه باختصار .
(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٦) قوله : ويقال : له أورق ، وأصفر ، قال الكلبي : الصفر السود . وهو كلام مكرر من الناسخ .
(٧) تفسير مقاتل ٢٢٤/ أ .
(٨) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٤١ ، والعبارة عنده فيها : نوق سود .
(٩) معاني القرآن ٣/ ٢٢٥ بتصرف يسير .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج[١] ، وغيره[٢] ، وأنشدوا[٣] :

تِلْـكَ خَـيْلي منـها وتِلْكَ ركابي هُنَّ صُفْرٌ أولادُهـــا كَالزَّبيبِ[٤]

أي سود .

قال ابن قتيبة : والشرر إذا تطاير فســقط وفيه بقية من لون النار أشْــبه شيء بالإبل السود لما يشوبها من الصفرة[٥] .

٣٥. فقــال : ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ قال الكلبي : هــذا في بعض مواطن يوم القيامة لا يتكلمون ، ويتكلمون في ساعة أخرى[٦][٧] .

وروى قتــادة أن رجلاً جاء إلى عكرمة ، فقــال : أرأيت قول الله : ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر :٣١] ، فقــال :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٨ .

(٢) كأبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨١ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٠٧ ، وابن الأنباري في كتاب الأضداد (١٦٠) .
وإليه ذهــب البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٤٣٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ ، وســاق ابن الجوزي قول الفرَّاء في زاد المسير ٨/ ١٥٩ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٢ .

(٣) البيت للأعشى .

(٤) ورد البيــت في ديوانــه ٢٧ ط دار صادر ، برواية : منها بدلاً من : منــه ، وفي (صفر) في تهذيب اللغة ١٢/ ١٧٠ ، والصحاح ٢/ ٧١٤ ، ولســان العرب ٤/ ٤٦٠ ، وورد في تفســير غريب القرآن ٥٠٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ٢٥/ ب ، النكت والعيون ٦/ ١٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ ، وسائر المراجع السابقة ، وكلها برواية : خيلي منه بدلاً من منها .
ويراد : صفر ؛ أي سود . ديوانه .

(٥) تأويل مشكل القرآن : (٣٢١) بنصه .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) يقصد بذلك قوله تعــالى : ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ الآية ٦٥ من سورة يس .

إنها مواقف ، فأما موقف منهـــا فتكلموا ، واختصموا ، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم ، وأرجلهم ، فحينئذ لا ينطقون[١] .

وقال مقاتل : هذا في بعض المواطن حين يختم الله على أفواههم مقدار أربعين سنة[٢] ، ونحو هذا ذكر الفرَّاء[٣] ، والزَّجَّاج[٤] .

قال الفرَّاء : وأراد بقوله : «يوم لا ينطقون» تلك الســـاعة ، وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه ، كما تقول : أتيتك يوم يقدمُ فلان ، والمعنى : ســـاعة يقدم ، وليس باليوم كله ؛ لأن القدوم إنما يكون في ســـاعة يسيرة ، ولو كان يوماً كله ، لما جاز إضافته إلى الفعل لسرعة انقضاء القدوم ، فإنه لا يمتد يوماً كله ، وإنما استجازت العرب ذلك ؛ لأنهم يريدون : آتيك إذا قدم فلان ، وإذا يقدم [فإذاً][٥] يطلبان الفعـــل ، فلما كان اليوم والليل ، وجميع المواقيـــت في معناهما أضيفت إلى فعل ، ويفعَل[٦] .

وقال أهل المعـــاني : معنى قوله : ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ أي بـــما فيه لهم حجة ، ومن نطق بما لا يفيد ، فكأنه لم ينطق ، وهذا كما تقول لمن تكلم بما لا يفيد : تكلمت ولم تتكلم[٧] . يدل على صحة هذا المعنى ما روي عن بعضهم[٨] أنه قال : وأي حجة

---

(١) بمعناه في زاد المسير ٨/ ١٥٩ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٢٦ بمعناه .

(٤) معـــاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٨ ، وعبارته : «يوم القيامة له مواطن ومواقيت ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها» .

(٥) في (أ) : وإذاً مكرر ، والصواب : أيضاً ، فإذاً كما هو في معاني القرآن .

(٦) معاني القرآن ٣/ ٢٢٦ نقله عنه بتصرف .

(٧) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٢٧٩ ، ورد بمعنى هذا القول عنده من غير عزو .

(٨) بهذا المعنى روي عن الحسن . انظر : المرجع السابق .

لهم يقيمونها ، أم بأي عذر يعتذرون ، وقد أعرضوا عن [مُنعمهم][(١)] ، وجحدوا ربوبيته .

٣٦. قوله تعالى : ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قال الفرَّاء : [رويت][(٢)] : بالفاء أن يكون نسقاً على ما قبلها ، واختير ذلك ؛ لأن الآيات بالنون ، ولو قيل : فيعتذروا لم يوافق الآيات ، وقد قال الله : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر :٣٦] بالنصب ، وكلٌّ صواب ، ومثله : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [البقرة :٢٤٥ ، الحديد :١١] بالنصب ، والرفع[(٣)] .

والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي ، والقرآن نزل على ما تستحب العرب[(٤)] من موافقة المقاطع ، ألا ترى أنه قال : ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر :٦] ، فثقل في (اقتربت) لأن آياتها مثقلة .

وقال في موضع آخر : ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق :٨] ، فاجتمع القراء[(٥)] على تثقيل الأول ، وتخفيف الثاني ليوافق كل منهما ما قبله . وقال : ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن :٥] ، وقال في موضع آخر : ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ :٣٦] ، وهو كثير .

---

(١) غير واضحة في (أ) ، وقد رسمت هكذا منعهم .

(٢) في (أ) : ويت ، والمثبت من معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٢٦ .

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٢٦ بتصرف يسير .

(٤) في (أ) : العرب ، وهي لفظ مكرر لا معنى لزيادتها .

(٥) لم يجتمع القراء على ما ذكره ، وإنما كان هناك اختلاف ، قال أبو علي : «اختلفوا في التخفيف والتثقيل من قوله : (نكراً) [الكهف :٧٤] ، فقرأ ابن كثير ، وحمزة ، وأبو عمرو ، والكسائي : (نُكْراً) خفيفة في كل القرآن إلا قوله : ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر :٦] ، وخفف ابن كثير أيضاً : (إلى شيء نُكْر) .
وقرأ ابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر في كل القرآن : (نُكْراً) .
ونُكُر مثقل .
حفص عن عاصم : نُكْراً خفيفة .
واختلف عن نافع ، فروى إسماعيل بن جعفر : نُكْراً خفيفاً في كل القرآن إلا قوله : (إلى شيء نُكُر) فإنه مثقل .
=

وأما رفع يعتذرون بالعطف على (يــؤذن) ؛ أي ليس يؤذن ، ولا يعتذرون ، وإذا لم يؤذن لهم لم يعتذروا .

٣٨. قوله تعــالى : ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ ؛ أي القضــاء والفصل بين أهل الجنة والنار ، وأهل الحق والباطل .

﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ يعني مكذبي هذه الأمة .

﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني الذين كذبوا سائر النبيين .

٣٩. قولــه : ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ قــال عطاء : يريــد : كنتم في الدنيا تحاربون محمداً ﷺ ، وتحاربونني ، فاليوم حَاربون[١] .

وقال الكلبي : يقول : إن استطعتم أن تصنعوا شيئاً فاصنعوا[٢] .

وقال مقاتل : يقول : فإن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم[٣] .

= وروى ابن جماز ، وقالون ، والمســيبي ، وأبو بكر بن أبي أويس ، وورش عن نافع : نُكُراً مثقلاً في كل القرآن .
نصر ، عن الأصمعي ، عن نافع : (نُكُراً) مثقل» .
ثم بيَّن أن ذلك كله جائز . الحجة ٥/ ١٥٩ .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) بمعناه في تفســير مقاتل ٢٢٤/ أ ، قال : إن كان لكم مكر فامكروا ، معــالم التنزيل ٤/ ٤٣٥ ، وفتح القدير ٥/ ٣٦٠ .

ثم ذكر المؤمنين ، فقال :

٤١. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال عطاء : يريد المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان[١] .

وقال الكلبي[٢] ، ومقاتل[٣] : إن المتقين للشرك بالله .

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ يعني : ظلال الشجر ، وظلال [أكنان[٤]][٥] القصور .

٤٦. ثم قال لكفار مكة :﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ يريد في الدنيا إلى منتهى آجالهم .

٤٨. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ إذا أمروا بالصلوات الخمس لا يصلون مع محمد ﷺ[٦] .

٥٠. قوله تعالى : ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٨٢ بنحوه .

(٣) المرجع السابق ، وورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٢٤/ أ ، قال : يعني به الموحدين .

(٤) غير مقروءة في (أ) ، وما أثبته من الوسيط ٤/ ٤١٠ .

(٥) أكنان : الكِنُّ ، والكِنَّةُ ، والكنانُ : وقاء كل شيء وستره ، والكِنُّ : البيت أيضاً ، والجمع : أكنان ، وأكِنَّةٌ ، الكِن : ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن .
انظر : لسان العرب (كنن) ١٣/ ٣٦٠ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٤٢ .

(٦) قال ابن الجوزي في هذا المعنى : هو الأصح . زاد المسير ٨/ ١٥٩ .
وهناك من قال : إنهم يدعون إلى السجود يوم القيامة . المرجع السابق .

قال مقاتل[١] ، وغيره[٢] : يقول : إن لم يصدقوا بهذا القرآن ، فبأي كتاب بعد هـذا القرآن يصدقون ، ولا كتاب بعد القـرآن كقوله : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية :٦] .

وقال أبو إسحاق : أي بأي حديث يؤمنون بعد القرآن الذي أتاهم فيه البيان ، وهو معجز دليل على الإسلام[٣] ؟

* * *

(١) تفسير مقاتل ٢٢٤/ أ مختصراً .

(٢) قال بذلك : السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٣٧ .
وإليه ذهب ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٥٩ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٩ بتصرف .